أهل الصفة
لدراسات التصوف وعلوم التراث

مجلة علمية دولية مُحكمة
تعنى بحقائق علوم الشريعة
ودقائق علوم الحقيقة

ردمد (النسخة المطبوعة): 4967 - 3062
ردمد (النسخة الالكترونية): 4975 - 3062

المجلد الثالث - العدد الأول
ذو الحجة ١٤٤٧هـ
يونيو ٢٠٢٦ م

البيت المحمدي للتصوف

تصدر عن أكاديمية أهل الصفة لدراسات التصوف وعلوم التراث
بمؤسسة البيت المحمدي المشهرة برقم (10684) لسنة (2017)

Ahl al-Suffa Journal for Sufi Studies and Heritage Sciences Vol. 3 No. 1, pp. 01-54 (June.2026)
DOI: https://doi.org/10.70703/h2871n79
E-ISSN 3062-4975/ ISSN 3062-4967

البنية الحجاجية لفكرة إعجاز القرآن عند سعيد النورسي من خلال كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"

RECONSTRUCTING SAID NURSI'S ARGUMENT FOR QUR'ANIC INIMITABILITY: A STUDY OF "ISHĀRĀT AL-IʿJĀZ FĪ MAẒĀN AL-ĪJĀZ" [1]

أيمن أبو مصطفى

أستاذ مشارك النقد والبلاغة والدراسات الأدبية بكلية الإلهيات، جامعة باليكسر، تركيا

Ayman Abu Mustafa

Associate Professor of Criticism, Rhetoric, and Literary Studies, Faculty of Theology, Balıkesir University, Türkiye

(1) Article received: January 2026; article accepted: April 2026

الملخص:

يتناول هذا البحث البنية الحجاجية لفكرة إعجاز القرآن عند سعيد النورسي من خلال كتابه إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بوصفه نصًا تفسيريًا يجمع بين النظر البلاغي، والتحليل اللغوي، والاستدلال الكلامي، والترتيب المنطقي. وينطلق البحث من أن الحجاج ليس أداة عارضة في تحليل التراث الإسلامي، بل مدخل منهجي كاشف عن طرائق بناء المعنى، وتنظيم الدليل، وتوجيه الخطاب نحو الإقناع. ويبين البحث أن معالجة النورسي للإعجاز القرآني لا تقف عند جمع الأدلة أو تقرير وجوه الإعجاز تقريرًا تقليديًا، بل تقوم على نسق حجاجي محكم، يربط بين البنية اللغوية للنص القرآني، ومقاصده الإيمانية، وآثاره التربوية والوجدانية. فالبلاغة عنده لا تؤدي وظيفة تزينية، بل تعمل بوصفها أداة معرفية وإقناعية تسهم في إنتاج المعنى، وتقوية الدليل، ونقل المتلقي من المقدمة إلى النتيجة. ويكشف التحليل أن إشارات الإعجاز يمثل نموذجًا بينيًا في قراءة النص القرآني، إذ يوظف النورسي علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، وعلوم الشريعة من تفسير وكلام وأصول، إلى جانب المنطق والنظر العقلي، ضمن بناء استدلالي يقوم على الاستقصاء، والتركيب، والتحليل، والاستنتاج، وحسن ترتيب المقدمات. ومن ثم يغدو الكتاب مجالًا صالحًا لدراسة العلاقة بين اللغة والحجاج والإعجاز، لا بوصفها علاقات متجاورة، بل بوصفها عناصر متداخلة في إنتاج الدلالة القرآنية. كما يؤكد البحث أن الإشارات التفسيرية عند النورسي لا تنفصل عن النص القرآني ولا تفرض عليه معاني خارجة عنه، وإنما تستخرج من نظمه، وكثافة دلالته، ونسقه البلاغي، وما يتضمنه من هداية تربوية وروحية. وينتهي البحث إلى أن نموذج النورسي يقدم أساسًا مهمًا لتجديد خطاب الحوار والإقناع في عرض معاني الإسلام، بما يستجيب لأسئلة العصر، ويحافظ في الوقت نفسه على ثوابت الشريعة ومنهجية المعرفة الإسلامية.

Abstract:
This article examines the argumentative structure of Said Nursi's conception of Qur'anic inimitability through his exegetical work *Ishārāt al-Iʿjāz fī Maẓān al-Ījāz*, approaching it as a text that integrates rhetorical inquiry, linguistic analysis, theological reasoning, and logical demonstration. It proceeds from the premise that argumentation is not merely an auxiliary feature of Islamic intellectual discourse, but a methodological framework through which meaning is constructed, evidence is organized, and persuasion is achieved. The article argues that Nursi's treatment of Qur'anic inimitability extends beyond the conventional enumeration of evidences and aspects of *iʿjāz.* Rather, it is founded upon a coherent argumentative system that establishes connections between the linguistic structure of the Qur'anic text, its theological objectives, and its educational and spiritual functions. Within this framework, rhetoric is not reduced to an aesthetic embellishment of language; it operates as an epistemic and persuasive instrument that generates meaning, reinforces proof, and guides the reader from premise to conclusion. The analysis further demonstrates that *Ishārāt al-Iʿjāz* offers an interdisciplinary model for engaging with the Qur'anic text. Nursi draws upon Arabic grammar, morphology, and rhetoric, as well as Qur'anic exegesis, theology, legal theory, and logic, integrating them into a unified argumentative framework characterized by systematic inquiry, synthesis, analysis, deduction, and the careful arrangement of premises. The work therefore provides a productive case for examining the interrelationship between language, argumentation, and Qur'anic inimitability as mutually constitutive dimensions of meaning-making. The article also maintains that Nursi's interpretive insights remain firmly grounded in the Qur'anic text and do not impose external meanings upon it. Instead, they emerge from close engagement with its linguistic organization, rhetorical coherence, semantic density, and moral guidance. Ultimately, Nursi's model offers a valuable foundation for

renewing contemporary approaches to dialogue, persuasion, and the presentation of Islamic teachings in ways that address modern intellectual challenges while preserving the normative principles of Sharia and the integrity of the Islamic scholarly tradition.

الكلمات الافتتاحية: الحجاج، البلاغة الإعجاز القرآني، سعيد النورسي، الشريعة.

Keywords: Argumentation, Rhetoric, Qur’anic Inimitability, Said Nursi, Shari‘ah.

المقدمة

العلماء هم حصون الأمة القوية، وقد كان لهم الدور الأبرز في الحفاظ على عقيدة الأمة من التغيير والتزييف، ويعد النورسي من أبرز الأسماء التي ظهرت خلال القرن الماضي، فقد واجه بفكره الثابت ومنهجه العلمي السديد كل محاولات الغزو الفكري في عصره، ولذا كان التوجه لدراسة فكره وكيفية تفكيره وكيفية بناء منظومته الحجاجية.

فبالنظر إلى اهتمام الدراسات اللسانية الحديثة بالنظرية الحجاجية باعتبارها آلية تداولية تقدم خدمة للنص بعدة مستويات، فإننا نجد هذه المستويات لا تخلو منها رسائل هذا العالم الجليل في المقاربات البرهانية، والمقاربات الحجاجية، وفي استعمال الآليات التي تؤيد نصوص الشرع من لغة ومنطق وغير ذلك كضرب الأمثال والسلالم الحجاجية وعواملها وروابطها، وخاصة كتابة "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"؛ ولذا فقد جاءت هذه الدراسة بعنوان "**البنية الحجاجية لفكرة إعجاز القرآن عند سعيد النورسي من خلال كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"** محاولة لفهم بنية العقل النورسي، ولا شك أن هذه الدراسات من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنها تفتح الطريق أمام الباحثين ليقفوا على منهجية البحث والدراسة فتتسع الدراسات، وتتعدد المنهجيات.

فالدراسة تُعنى باكتشاف المنهج البرهاني، والأسلوب الحجاجي للشيخ سعيد النورسي في مقارعة خصومه، وفي الانتصار لمذهبه من خلال كتابه **"إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"** حيث استعمل فيه قواعد وآليات وحججًا عقلية متنوعة.

أولًا: أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب:

- ما يمثله كتاب الشيخ سعيد النورسي الزاخر بشتى المعارف والفنون مما هو جدير بالدراسة والنظر، فهو بحق دائرة معارف ضخمة مشتملة على فنون عدة.

- طرافة الموضوع من جهة المزاوجة بين الموضوع العقدي والنظر الأدبي الحجاجي؛ ولعل هذه الدراسة تفتح الباب وتوسع الآفاق في دراسات مماثلة لمؤلفات ومؤلفين آخرين.

- اشتمال الكتاب على لغة برهانية قوية لا مدفع لها، وأسلوب حجاجي كبير، يثقف اللسان، ويفتق عنه الأذهان، وبه وبغيره من كتبه يتحرر العقل من إباق التقليد، فتتكون لديه ملكة فكرية واسعة، فمؤلفاته مشروعات تدريبية لأنماط التفكير المختلفة بالتعبير الحديث.

- ما يشتمل عليه كتابه موضوع الدراسة من التدريب على الاستقصاء والتركيب والاستنتاج والتحليل والترتيب للوقوف من خلال مؤلفاته على طرائقه في التفكير والمناظرة والحجاج.

ثانيًا: أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى:

– الوقوف على منهجية التفكير، وهي من الأهمية بمكان، فنحن بحاجة إلى أن نفهم كيف يفكر العلماء؟

– فتح الباب للإكثار من هذه الدراسات المتعلقة بوجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

– محاولة كشف أسرار القرآن الكريم ذات الصلة بمواجهة الأفكار الهدامة.

– الإجابة عن سؤال: هل ينتظم فكر النورسي بحيث يمكن وصفه بالنظام؟ وهل له معايير واضحة؟

ثالثًا: مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في قلة الدراسات التي تتناول عقل الرجل ومنهجه الفكري من وجهة حجاجية أو برهانية، وغالب الدراسات –في ظني– تتناولها من جهة وصفية أو تقريرية؛ لأن الدارسين لكتب العقيدة لا يعنون بالدراسات الأدبية والنقدية، والدارسين

لمناهج الأدب والنقد لا يعنون بكتب العقيدة، وهذا ما يفسر ندرة الكتابات في الدراسات من هذا النوع؛ فالأولون يتحاشون الدراسات الأدبية، والآخرون يتحاشون كتب العقيدة، فهذه محاولة للتزويج بين الفنين، فهما –عند التأمل– متوافقان لا متنافران، وكل منهما يؤيد الآخر ويسانده ويعضده.

رابعًا: الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة قامت بتناول فكر النورسي الحجاجي لتقف على ملامحه السردية، إلا أن هناك دراسات كثيرة تناولت كتبه من خلال البلاغة والعقيدة والفقه وغير ذلك، ومن أقرب الدراسات لمجال البحث هذه الدراسات:

– أسماء زروقى، المنحى التداولي في "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" لبديع الزمان سعيد النورسي (الجزائر، مجلة قراءات)، المجلد: الثالث عشر، العدد الأول،2021م.

– فتحي بودفلة، حقيقة النظم عند بديع الزمان النورسي من خلال كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" دراسة تحليلية نقدية (الجزائر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية) المجلد: الثامن عشر، العدد الثاني، 2022م.

– بطاهر بن عيسى، البيان القرآني في منظور بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة فصل الخطاب، (جامعة ابن خلدون تيارت– مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر)، المجلد الثالث، العدد الحادي عشر سبتمبر 2015م.

– جعفر محمد العبيد منصور، تطبيق نظرية النظم عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي من خلال كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، (مجلة دراسات رسائل النور)، العدد الثاني يناير 2019م.

– رضوان جمال الأطرش، النظم والبلاغة في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، (مجلة دراسات رسائل النور)، العدد 2 يناير 2019م.

ومن خلال الوقوف على الدراسات السابقة التي توصلت إليها لم أجد دراسة تتعرض لموضوع البحث مباشرة، ولكن يمكن الإفادة منها، وقد أفاد منها الباحث بالفعل في أثناء الدراسة.

خامسًا: منهج الدراسة:

وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي بحيث ترصد الدراسة الظواهر ثم تصنفها وتحللها.

سادسًا: خطة الدراسة:

تكون خطة البحث وفق الترتب التالي، حيث بدأت الدراسة بمقدمة تبعها ستة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: البلاغة والتذوق والفيض الكشفي عند النورسي.

المبحث الثاني: ترجمة سعيد النورسي.

المبحث الثالث: البلاغة والإعجاز في إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز.

المبحث الرابع: الاتجاه الإشاري المعاصر في تفسير القرآن الكريم عند بديع الزمان النورسي.

المبحث الخامس: منطلقات التفكير الحجاجي سعيد النورسي.

المبحث السادس: الأسلوب النورسي مظهر حجاجي.

ثم جاءت خاتمة البحث متضمنة نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

البلاغة والتذوق والفيض الكشفي عند النورسي

بدأ التصوف دينيًّا وأخلاقيًّا، فالتصوف، جوهرًا فكريًّا، يمثل مرحلة راقية من مراحل تطور الفكر الديني حين تتدخل القوى العقلية في إثبات قدرتها على الإدراك إلى جانب النص الديني، إنها حركة إيقاظ للقدرة التأويلية للتفكير الإنساني في مواجهة مجاهيل الكون وخفايا الإنسان وحقيقة الخالق عز وجل وسبيل الوصول إليه.

فالفيض الكشفي عند الصوفية هو رؤية جمالية تنطلق من الفعل الاعتقادي، حيث وظفوا أداة القلب في توصيل ممارستهم الكشفية وخطابهم المعرفي الذي لا يتعارض مع الخطاب العقلي والدليل البرهاني، وبذلك يكون الذوق هو مصدر طاقة المتصوف من حيث هو ذوق كشفي إلهامي جمالي، يأتيه عبر حالات ومقامات تمر بها النفس في وضع مخصوص، يستطيع الصعود به إلى ذات الحق عبر وسيلة الاتصال بالإلهام والأحوال، معتبرا ذلك موهبة الهية اختص الله بها صفوة المقربين الذين يتفانون في سبيل معرفة صفات التوحيد بقلوبهم بوصفها "معرفة مباشرة للذات الالهية، وما لها من صفات الوحدة، إذ هي لا تحصل عن طريق من طرق التعلم أو الاستدلال، وإنما هي إلهام أو نفث في الروح لا يدانيه أي ضرب من ضروب المعرفة الأخرى، سواء في موضوعه أو منهجه"[2].

إن مسعى التأويل عند المتصوفة هو المعرفة، ويستمد رؤيته من الحضرة التي يدرك بها الأشياء إدراكًا ذوقيًّا، ويتجسد موضوعها في الوصول إلى الله، على أساس من الذوق الروحي والكشف الالهي والحس الجمالي. بالإضافة إلى أن التأويل عندهم يتوزع بين إدراك العقل وإدراك القلب أو على نحو ما اصطلحوا عليه بالإدراك العلمي والإدراك المعرفي.

(2) أحمد عبد المهيمن، نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي، (دار الوفاء، 2000م)، ص116.

ولذا كان التجلي الإلهي هدف النورسي لبلوغ المعرفة الحقة، وتبليغها، جامعًا بين القلب والعقل، مركزًا على الإشارة التي تعرضها الآية، ببيان أثرها في القلب بما يسمى الإشارة.

فقد انطلق بديع الزمان سعيد النورسي في طلبه للعلم الرباني والمعرفة القلبية منذ البداية منتهلًا من مناهل التصوف وقواعده، فقد تتلمذ في بداية الطلب على يد الشيخ سيد نور محمد النقشبندي، وذلك سنة: ١٨٨٨م /١٣٠٦هـ، أي أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فقد كان التصوف هو اللحمة الجامعة لأدب الطلب، وأخلاق التعلم، كما كان هو القانون المنظم للعلاقة بين الشيخ والتلميذ.

فهو يجل التصوف ويقدر مشايخه رغم ما طرأ على حياته العلمية والدعوية من تحولات. وقد سئل عن ذلك بعدما انتشرت رسائل النور وتميز منهجها القرآني، فقال: إن غاية الطريقة وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني في ظل المعراج الأحمدي وتحت رايته بخطوات القلب، وصولًا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود. فالطريقة والتصوف سر إنساني رفيع، وكمال بشري سامٍ. فبديع الزمان لم يسجل قطيعة ابستمولوجية مع الفكر الصوفي بما يجعله وإياه على طرفي نقيض، وإنما الذي يمكن قوله هو أنه جدد الفكر الصوفي نفسه بمحاولة إعادة إنتاج الحقائق القلبية الإيمانية، لا بواسطة هياكل الطريقة وقواعدها، من مشيخة، وبيعة، وأوراد قولية وفعلية[3].

فالمتتبع لتراث النورسي يدرك أن النفاذ إلى جوهر الكون مفاده البحث في مظاهر الجمال الإلهي المطلق التي تعكسها صورة الجمال الحسي المخلوق في ظواهرها المتعددة، منتقلًا من عقلانية التصور والمعرفة البرهانية إلى يقينية الإحساس بالمشاهدة، أو منتقلًا من الطريق النظري التجريدي إلى النظر القلبي.

(3) فريد الأنصاري، بديع الزمان النورسي من برزخ إلى معراج القرآن، (النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد التاسع السنة الخامسة، 2014م)، ص83.

لقد كانت الرؤية الصوفية متمثلة في فكر النورسي نزوعًا نحو معرفة إرادة الحق عبر رموز الموجودات، وما لها من التجلي والقدرة الإبداعية من ذات الحق، من خلال تعلقه بالله تعالى وحبه له.

وقد تجلت تلك الرؤية خلال كتابه موضع الدراسة على النحو الذي يجعلنا نذهب إلى القول بأن الكتاب مرآة تعكس للقارئ مظاهر الفكر الصوفي عند بديع الزمان النورسي.

2-1 مفهوم الحجاج:

إذا كان الحجاج هو المهارة الفردية أو الجماعية في البرهنة على مدى صلاحية الأطروحة المتبناه، ومحاولة استمالة المتلقي بطرق تأثيرية تهدف إلى إقناعه بها، فإننا نلاحظ أن نتاج سعيد النورسي يعد نموذجًا حجاجيًّا بامتياز.

فبالنظر إلى اهتمام الدراسات اللسانية الحديثة بالنظرية الحجاجية باعتبارها آلية تداولية تقدم خدمة للنص الأدبي بعدة مستويات، فإننا نجد هذه المستويات تبدو واضحة في مؤلفات سعيد النورسي المعتزلي.

إن هدف الدراسة هنا ليس الوقوف على الإشارات الحجاجية عند سعيد النورسي، وإنما الهدف هو اكتشاف المنهج الحجاجي عند سعيد النورسي في مشروعه الحجاجي.

وهناك تعريفات كثيرة للحجاج لن نقف عليها وإنما نختار أشملها وهو أن: «الحِجاج جنسٌ خاصٌ من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيه المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًّا قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية»[4]. ومن خلال هذا التعريف نستطيع أن نقف على التأطير الحجاجي لمشروع سعيد النورسي، وقد حاولنا أن نستكشف

(4) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مجالاته ومفهومه، الطبعة الأولى، (الأردن: عالم الكتب الحديث،2010م)، 5/4.

الهياكل الحجاجية في مشروعه، حيث يرى هنريش بليث[5] أن أي نص لابد وأن يمر بمكونات حجاجية، فاللغة عنده "ليست وسيلة للتواصل فحسب بل إنها أيضا أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع[6]"، ويمكن أن نقف على جوانب النص الحجاجي عنده من خلال :

1- القضية الخلافية 2- الفرضية (الدعوى والتفسير المقترح) 3- الدليل والدعامة والتبرير والتعليل.

فالعملية الحجاجية هي في الأصل عبارة عن قضية أو مجموعة من القضايا يتم الادّعاء بها، والدفاع عنها أيضا وذلك لتعذر وجود دليل دون قضية مُستدل عليها، كما يتعذر إثبات الشيء بنفسه كذلك، فالادعاء فعل كلامي يعتقد فيه المدّعي صدق دعواه، ويطالب المعروض عليه بأنّ يُصدق بدوره هذه الدّعوى.

(5) هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي، ترجمة: محمد العمري، (المغرب: دار إفريقيا الشرق، 1999م)، ص33.

(6) سامية الدريدي، الحجاج في هامشيات الكميت، (تونس: مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 40، 1996م)، ص261.

المبحث الثاني

ترجمة سعيد النورسي

ولد سعيد النورسي سنة1873م الموافق عام1293هـ، في قرية نورس من قضاء خيزان التابع لولاية بتليس شرق الأناضول[7] في أسرة كردية صالحة تقية تعمل بالفلاحة والزراعة، فقد كان أبوه "الصوفي ميرزا" رجلًا ورعًا عابدًا، وأمه "نورية" امرأة صالحة، لا ترضع أطفالها إلا وهي على طهر ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا. وكان أخوه الكبير الملا عبد الله عالما يقوم بمهمَّة تدريس طلاب العلم. وتعدّ هذه الأمور كلّها مؤثرات اجتماعية أسهمت بشكل ملحوظ في بناء شخصية النورسي.

درس النورسي متنقّلًا من مدينة إلى أخرى على أيدي العلماء المعروفين في عصره منذ سن مبكّر، حيث إنه بدأ دراسته في العلوم العقلية والنقلية، وحفظ ثمانين كتابًا من أمّهات العلوم العربية والإسلامية[8].

سمع النورسي، حينما كان في الثالثة والعشرين من عمره، كلامَ وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) Gladstone الذي صرح في مجلس العموم البريطاني، وهو يخاطب النواب، وبيده نسخة من القرآن الكريم، قائلًا: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو أن نقطع صلة المسلمين به". سمع النورسي هذا الخبر وهو في مدينة (وان) Van، فزلزل الخبر أركانه، ونذر أن يكرس حياته لخدمة القرآن الكريم حيث قال: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية، لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها2. منذ ذلك الحين ازدادت رغبته في نشر الوعي في أوساط المسلمين عبر كتابته لكليات رسائل النور[9].

---

(7) إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء: مركز رسائل النور للنشر، 1999م)، ص19.

(8) المصدر نفسه ص21.

(9) الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص26.

المبحث الثالث

البلاغة والإعجاز في إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز

قال ابن السكيت: عجزت عن الأمر أعجز عنه عجزا ومعجزة[10] فالقرآن الكريم معجزة؛ " لأنه جاء بألفاظ فصيحة في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني[11]، وأشار العلماء إلى أهمية علم الإعجاز للقرآن الكريم وهذه الفوائد تتصل بالعقيدة؛ فإعجاز القرآن الكريم وثيق الصلة بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، وكما عرف العلماء إعجاز القرآن فهو دليل على أنه ليس مصدره بشريًّا؛ بل مصدره رباني، وهذا له صلته بإيمان الإنسان، والإعجاز دليل علي صدق رسالة النبي والإعجاز يزيد إيمان المؤمن.

فيهدف كتاب "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز": إلى إظهار الإعجاز في القرآن الكريم من خلال نظرية النظم المعروفة، وفي هذا يقول النورسي: "إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن؛ لأن الإعجاز يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم".

ولسنا في معرض الحديث عن هذه النظرية، وكيف تناولها، وتتبّع الفكرة فيها، فإن هذا مما تعجز عن استيعابها مقالة، بل أردنا الوقوف على هذا الجزء من التفسير لآخذ من خلال تفسيره البلاغي والنظمي القواعد والأسس في التفسير بصورة عامة، فقد أودع فيه كثيرا من علوم القرآن ومعارفه وأسس التفسير وضوابطه، لأنّ هذا الجزء له أهميته وقيمته العلمية، وقد كان يريد أن يؤلف تفسيرا كاملا في هذا الاتجاه، ولو استمر في عمله لبلغ عشرات المجلدات في ضوء ما قدمه في هذا الجزء من التفسير[12].

---

(10) أبو بكر محمد الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد، (مصر: دار المعارف، د ت)، ص15، 16.

(11) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية، د.ت)، 102/1.

(12) بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر)، 2002م، مقدمة الكتاب للدكتور محسن عبد الحميد، ص6.

وإذا كان هذا الكتاب الوحيد من حيث عنوانه – في مصنفات الشيخ –خاصًّا بتفسير القرآن من وجهة إعجاز القرآن الكريم، فإن سائر رسائل النور لا تقل أهمية عن هذا الكتاب، فهي بالفعل تفسير حقيقي للقرآن الكريم بمسلك خاص وبمقاصد محددة سلفًا، لخصها في تثبيت وإثبات الحقائق الإيمانية في ظل وضع أراد المسيطرون عليه تجفيف منابع الدين من الصدور ومن السطور.

فالقرآن الكريم عنده تشريع عام للناس كافة، يخاطب فيه الجميع بمختلف طبقاتهم، وفي كل العصور، فالفهم الفردي لا يسعه ويعجز عن بلوغ غاياته، ولا يعطي تصورًا كاملًا شاملًا لحقائقه؛ لذلك نجده يدعو إلى أن تجتمع جماعة كبيرة تشبه الإجماع، لتقوم بتفسير القرآن، ليكون ذلك أكثر حجية، حتى يكون أبعد عن الانحراف والزلل، فهو يرى جواز اختلاف المفسرين، ويرى مبدئيا قبول هذه الأقوال بوصفها تلبي حاجة كل إنسان، أو كل عصر، وفي جميع الأحوال.

أما الإيجاز الذي هو البلاغة عند البلاغيين فهو يراه منشأ الإعجاز؛ لكون المخاطبين بالقرآن على طبقات متفاوتة، وفي عصور مختلفة، وبما أنَّ البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال، فلمراعاة هذه الطبقات واختلاف العصور ليستفيد كل نوع بما قُدِّر له من الفهم، فحذف الكثير للتعميم وللتوزيع، وأطلق الكثير للتشميل والتقسيم، وأرسل في كثير لتكثير الوجوه وتضمين الاحتمالات المستحسنة في نظر البلاغة والمقبولة عن السامع[13].

وقد ذكر مثلا للإطلاقات التي تفهم التعميم قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة: 5]، فقال: "إن مخاطب القرآن على طبقات مطالبهم مختلفة، فبعضهم يطلب الفوز من النار، وبعض إنما يقصد الفوز بالجنة، وبعض إنما يتحرى الرضا الإلهي، وبعض ما يحب إلا رؤية جماله... وهلم جرا... فأطلق هنا لتعم فائدة إحسانه

(13) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص96.

فيجتني كل مشتهاه"[14]؛ بل إنه يربط المجاز أيضا بهذا الاختلاف، فيرى أن ورود المتشابهات والمجاز إنّما كان مراعاة لواقع اختلاف البشر، فهم ليسوا على مستوى واحد في الفهم والاستقبال، لذا فإن خطابات القرآن تستجيب لجميع المستويات، ويقرر هذا المعنى بقوله: "إن حكمة المتشابهات وهي التنزلات الإلهية إلى عقول البشر؛ لتأنيس الأذهان وتفهيمها، كمن تكلم مع صبي بما يألفه ويأنس به، فإن الجمهور من الناس يجتنون معلوماتهم عن محسوساتهم، ولا ينظرون إلى الحقائق المحضة إلا في مرآة متخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم، وأيضا المقصود من الكلام إفادة المعنى، وهي لا تتم إلا بالتأثير في القلب والحس، وهو لا يحصل إلا بإلباس الحقيقة أسلوب مألوف المخاطب، وبه يستعد القلب للقبول. ولذا فإن معنى الرحمن الرحيم وأمثالهما وتفسيرهما بمبادئهما محال في حقه تعالى، كرقة القلب، وإن أريد منها النهايات"[15].

وهو يرى "أنّ متشابهات القرآن عند أهل التحقيق نوع من التمثيلات العالية وأساليب لحقائق محضة ومعقولات صرفة؛ ولأن العوام لا يتلقون الحقائق في الأغلب إلا بصورة متخيلة ولا يفهمون المعقولات الصرفة إلا بأساليب تمثيلية لم يكن بدّ من المتشابهات، كـ ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:54] لتأنيس أذهانهم ومراعاة أفهامهم"[16].

بل إنه ربط بين تكرار بعض الآيات وبين طبائع الناس وتنوع التفكير، فهو ليس من التكرار الممل أو المخل، ولكنه تكرار ذو دلالة، ومن ذلك تكرار البسملة و﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ [الرحمن: 13]، و﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ﴾ [المرسلات: 15]، وقصة موسى وأمثالها، فيقول: "إن التكرار قد يمل لا مطلقًا، بل قد يستحسن وقد يسأم، فكما أنّ في غذاء الإنسان ما هو قوت كلّما تكرّر حلا وكان آنس، وما هو تفكه إن تكرر مل، وإن تجدد استلذ، كذلك

(14) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص89.

(15) المصدر نفسه ص33، 219

(16) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص148، 219.

في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكار وغذاء للأرواح، كلما استعيد استحسن واستؤنس بمألوفه كضياء الشمس، وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلون لباسه". ثم يستطرد قائلا: "هذا بناء على تسليم التكرار، وإلا فيجوز أن تكون قصة موسى مثلا مذكورة في كل مقام لوجه مناسب من الوجوه المشتملة هي عليها"[17].

ثم وضّح ما في البسملة من معان وإيحاءات وأحكام على كل مورد ترد فيه تشير إلى بعض تلك المعاني والأحكام ومناسبة مخصوصة لهذه السورة أو فهرسة إجمالية على حسب الاعتبارات الواردة أو المقامات.

فهو يقف على ما وقف عليه كثير من العلماء الذين ذكروا فوائد التكرار في القرآن الكريم، منها التوكيد، ومنها زيادة التنبيه، ومنها إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيًا تطرية له وتجديدًا لعهده، أو للتهويل والتعظيم، أو للوعيد، أو للتعجب. وأما ما أشار إليه في قصة موسى عليه السلام، وأنّ لكل مقام ذكرت فيه إنّما ذكرت لوجه مناسب، فهو أمر حق بيّنه العلماء، وأكّدوا على أنّ كل موطن فيه زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير تخالف نظيراتها من نوع زائد فيه، فيوقف عليه من المعاني دون غيرها[18].

فالإعجاز في القرآن الكريم عند النورسي يثبت نبوة محمد ﷺ بأكمل معجزاته الذي هو التحدي بإعجاز القرآن الكريم، وقد أقام دلائل كثيرة على ذلك، استغرقت صفحات عديدة من خلال النصوص العامة، ومن إيحاءات الخطابات والقصص ومن واقع النبي ﷺ وتأثيره في أمة أمية فقلبها إلى أمة حضارة وعلم وفكر... [19].

ولذلك نراه يتوقف عند الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: 23]، فقال بعد إثبات التوحيد تثبت نبوة محمد عه السلام، الذي هو من أظهر دلائل التوحيد، ثم إن

(17) المصدر نفسه، ص50.
(18) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص12 وما بعدها.
(19) المصدر نفسه، ص207.

إثبات النبوة بالمعجزات وأعظم المعجزات هو القرآن الكريم، وأدق وجوه إعجاز القرآن ما في "بلاغة نظمه".

ثم بيّن أنّ المحققين اختلفوا في طرق الإعجاز، لكن لا تزاحم بين تلك الطرق، بل كل اختار جهة من جهاته، فعند بعض إعجازه إخباره بالغيوب، وعند بعض جمعه للحقائق والعلوم، وعند بعض سلامته من التخالف والتناقض، وعند بعض غرابة أسلوبه وبديعيته في مقاطع ومبادئ الآيات والسور، وعند بعض ظهوره من أمي لم يقرأ ولم يكتب، وعند بعض بلوغ بلاغة نظمه إلى درجة خارجة عن طوق البشر... إلخ[20].

ولذا، فإن ملخص الإعجاز هو ما جاء في معنى الآية السابقة "إن كنتم في ريب أنه كلام الله يجب عليكم أن تتعلموا إعجازه، فإن المعجز لا يكون كلام البشر، ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر، وإن أردتم ظهور إعجازه فجربوا أنفسكم ليظهر عجزكم فيجب عليكم التشبث بإتيان سورة من مثله" ثم قال: "فلله در التنزيل ما أوجزه وما أعجزه"[21].

فالرجل كان عالما بكتاب الله تعالى، مطلعا على معانيه، هاضمًا لحقائقه، إنه يصح أن يكون في زمرة المفسرين الأوائل، وممن له إسهامات وإبداعات في تجلية مراد الله سبحانه، لم يكن ناقلا فحسب، بل هو غائر على صدفه وجواهره.

ثانيًا: إن نظراته في التفسير لم تكن تقليدية، وإنما كانت من صميم الواقع حاضرة مع الزمن وتطوره، ولم يكن بعيدًا عن علوم عصره وثقافة الوقت.

(20) المصدر نفسه ص226.

(21) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص230.

المبحث الرابع

الاتجاه الإشاري المعاصر في تفسير القرآن الكريم عند بديع الزمان النورسي

عرف التفسير الصوفي عند المفسرين بالرأي، وقد ظهر هذا الاتجاه في التفسير نتيجة تطور العلوم العقلية، فقد أخذ الصوفية عن الفلاسفة والمتكلمين وأصبح مذهبهم فيما بعد يتسم بالتصوف الفلسفي، وتعددت اتجاهات المفسرين المتصوفة بين اتجاهين هامين فمن المفسرين المتصوفة من سار على نهج الصحابة في التفسير وذلك بالأخذ بوسطية الأمور وما أثر عنهم من صالح الأعمال، أما الصنف الثاني فقد أفرط في تأويل مواضيع هذا العلم الشريف وأخذه كأداة تخدم أغراض الفرق المغالية في فهم الدين، لذلك يعد الحديث عن التصوف وأثره في تفسير القرآن الكريم حديثا يتسم بالحذر والدقة لكثرة ما أحيط به من السلوكيات والمعتقدات التي سرعان ما أصبحت وسيلة لضرب القرآن الكريم والمساس بقدسيته. حيث يقوم التفسير الإشاري على تأويل القرآن الكريم على خلاف ظاهره لإشارات خفية تظهر لأولي العلم مع إمكان الجمع بينها وبين المعنى الظاهر المراد من الآية. ففهم القرآن بهذا المعنى لا يخالف أصول الشريعة، ولا يتعارض مع المعتقد، وإنما هو إشارات خفية ترد بمناسبة التأمل والنظر في القرآن الكريم.

والنورسي يمثل الاتجاه الأول المعتدل فغايته رحمه الله هي مواجهة الإلحاد وترسيخ الإيمان وإصلاح الباطن وتهذيب السلوك، وذلك عن طريق استخلاص معان دقيقة قد يعسر الاستدلال عليها، لكنها معتبرة في الشريعة يقصد منها إلى تربية النفوس وتهذيب القلوب وبناء الإيمان.

فالتفسير الإشاري أو الصوفي المقصود هنا هو ما كان معتبرا في الشريعة لا يناقض ظاهرها وله ما يؤيده من النصوص، أما ما فيه غلو في الباطن وأسرار لا ضوابط لها فهذا لا يدخل في التفسير الإشاري الذي نعنيه؛ لأنه متحلل من ضوابط العلم، وإنما العلم ما انضبط للقواعد. وهو ما قصده الطاهر ابن عاشور حين قال: "أما ما يتكلم به أهل

الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية".

وهي معان معتبرة لوجود ما يشهد لها من النصوص الأخرى التي تشير إلى تلك المعاني، ولا يخرج عن الشريعة لأن هذا المعنى يكون له ما يؤيده من الشرع.

ويعد بديع الزمان سعيد النورسي من أعلام هذا الاتجاه في العصر الحديث. حيث واجه الإلحاد والفلسفة المادية بترسيخ الإيمان في قلوب المسلمين وبيان ما في معرفة الله من سعادة، وما يتحقق للقلوب بالإيمان من إدراك معاني الجمال واللذة الروحية.

كما أنه هدف إلى معالجة انحرافات النفوس وأمراض القلوب عند المسلمين فكان مولعًا ببيان آثار ذكر الله تعالى على النفوس وفوائد التربية الروحية والسلوكية. ولهذا غلب عليه هذا القصد فتجده حاضرا عنده فيما يورده من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فاللغة تتيح بما تمتلكه من طاقة إيحائية وتوليدية لذهن المتلقي أن ينطلق إلى عوالم تكمن وراءها، يكتشف المتلقي أبعاد هذه الطاقة الإيحائية عندما يحاول الوصول إلى الفهم بغية تحقيق التواصل؛ فالمفهوم الإشاري يتولد عن اللغة عندما تتجاوز وظيفتها الرئيسة إلى أن تكون موظفة لرسم شبكة من العلاقات مع معنى بعيد عن منطوقها يمكن إدراكه من خلال إسهام عناصر السياق والمقام والمعرفة الخلفية إسهامًا فاعلًا فضلًا عن اللغة، من هنا ظهرت قضية عدم كفاية اللغة وحدها لتأدية هذا المعنى اللاقولي، وتعود تسميته لهذا الصنف بالإشارة، لأن الإشارة قد تكون حركة فتؤدي مدلولًا معينًا، وهذا المدلول يتحصل من غير نطق، فهي في اللغة نظام دلالي غير لفظي أشار اليه وشور: أومأ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب، وشور إليه بيده أي: أشار[22].

(22) ابن منظور، لسان العرب، 4/436-437، (شور).

فالمقصود بالتفسير الإشاري هو مجموع المعاني والحكم والمقاصد المستفادة من فحوى النص الشرعي، سواء كان المفيد نفس ذلك اللفظ المنطوق به أو كان المفيد العقل أو البصيرة والفراسة. فهذه الثلاثة هي قنوات رصد الإشارات عند النظار في الأصول والتفسير والتصوف، باعتبار هذه العلوم مقصودة بالأصالة من الشريعة وهي المفيدة لمضامين التخلق والامتثال التعبدي واضعة إياها نصب عين المكلف. ولم تكن علوم اللغة وأصول التفسير وأصول الفقه سوى علوم خادمة تكميلية أتت لضبط التسيُّب الذي لحق تلك المعارف الأصلية عَرَضًا كما يشهد بذلك تاريخ تدوين العلوم.

والمقصد من هذه الإشارات عند الشيخ سعيد النورسي هو الوصول إلى تفسير القرآن من خلال نظمه المعجز، يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله وهو يبين الغرض من هذا التفسير، فيقول إن المقصد منه هو: "**أولًا**: أن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلى في نظمه. وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم.

وثانيًا: أن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة، لأنه لما كان بنو آدم كركب وقافلة متسلسلة راحلة من أودية الماضي وبلاده، سافرة في صحراء الوجود والحياة، ذاهبة إلى شواهق الاستقبال، متوجهة إلى جناته، فتهتز بهم المناسبات وتتوجه إليهم الكائنات. كأنه أرسلت حكومة الخلقة فن الحكمة مستنطقًا وسائلًا منهم بـ(يابني آدم! من أين؟ إلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من خطيبكم؟).

فبينما المحاورة، إذ قام من بين بني آدم. كأمثاله الأماثل من الرسل أولي العزائم سيد نوع البشر محمد الهاشمي صلى الله عليه وسلم وقال بلسان القرآن: «أيها الحكمة! نحن معاشر الموجودات نجئ بارزين من ظلمات العدم بقدرة سلطان الأزل إلى ضياء الوجود، ونحن. معاشر بني آدم. بعثنا بصفة المأمورية ممتازين من بين إخواننا الموجودات بحمل

الأمانة، ونحن على جناح السفر من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية، ونشتغل الآن بتدارك تلك السعادة وتنمية الاستعدادات التي هي رأس مالنا، وأنا سيدهم وخطيبهم. فها دونكم منشوري! وهو كلام ذلك السلطان الأزلي يتلألا عليه سكة الإعجاز». والمجيب عن هذه الأسئلة الجواب الصواب ليس الا القرآن ذلك الكتاب. كان هذه الأربعة عناصره الأساسية"[23].

والتفسير الإشاري أو الصوفي لا يناقض الشريعة وله ما يؤيده من النصوص، أما ما فيه غلو في الباطن وأسرار لا ضوابط لها فهذا لا يدخل في الحسبان عند الكلام على مناهج العلم واستعراض الاتجاهات في تفسير نصوص الشريعة. فلا يدخل هنا تفسير الباطنية؛ لأنه تحلل من ضوابط العلم وراح يعتبر نصوص الشريعة كنايات ورموزا وإنه لابد من صرف جميع نصوص الشرع من القرآن والحديث عن ظاهره لأنه شأن عامة المسلمين بخلاف الباطن الذي هو شأن الحكماء.

المقصود من الاتجاه الإشاري الصوفي في تفسير القرآن ما قال الشيخ الطاهر ابن عاشور عن نظيره في التفسير: «أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية»[24].

ومن ذلك تفسيره للآية الثالثة من سورة الفاتحة "الرحمن الرحيم، يقول: "سنلاحظ كيف أنّ دلالة النظم عند الأستاذ بديع الزمان تغيّرت في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3] بتغيّر موضعه، فهي في وسط سورة الفاتحة غيرها في البسملة، لا من حيث

(23) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص30. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،16/1.
(24) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،16/1.

التراكيب والألفاظ؛ لأنّه من هذه الحيثية اللّفظ والتركيب هو هو لم يتغير ولم يختلف، لكن التغاير واقع في رصفه ووضعه، أي نظمه كما يسميه الأستاذ، وفي علاقته بما قبله وبعده... يقول رحمه الله: "وجه النظم: أنهما إشارتان الى أساسَي التربية؛ إذ "الرحمن" لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع؛ و"الرحيم" لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار وهما الأساسان للتربية... "[25] فكونهما إشارتين للتربية نتيجة اقتضتها ربوبيته سبحانه وتعالى المذكورة في الآية قبلها ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، والتربية هذه وفق نظرة الأستاذ للنظم ستقتضي ولا بدّ لفظا بعدها يتناسب معها ويكون نتيجة حتمية لها...

(25) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص7.

المبحث الخامس

منطلقات التفكير الحجاجي سعيد النورسي

يعدّ بديع الزمان النُورسي– رحمه الله –أحد أبرز الدعاة والمفكّرين الأتراك في القرن العشرين، وقد كانت له جهودٌ كبيرة في تفسير القرآن الكريم، بدأها بكتابه المعروف "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، الذي كتبه في جبهة القتال ضد الروس، وقد واجه خلالها أحداثًا جسامًا، وظروفًا قاسية، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في صبغ هذه الكتاب، وقصد النورسي من تفسيره "إشارات الإعجاز" بيان الإعجاز البياني للقرآن الكريم، حيث قال في مقدّمة تفسيره: "إنَّ مقصدَنا من هذه الاشارات تفسيرُ جملة من رموز نَظْم القرآن؛ لأنّ الإعجاز يتجلّى من نظمه"(26)؛ وقد حاول بذلك الإسهام في هذا المجال بإعطاء نماذج تطبيقية على هذه النظرية، ثمّ جاءت كتاباته المختلفة في "رسائل النور" والتي كان منطلقها وأساسها تفسير القرآن الكريم وبيان إعجازه، والردّ على شبهات الأعداء والمنكرين. وقد اعتمد في تفسيره "إشارات الإعجاز" على تطبيق نظرية النظم الجرجانية، مستعينًا بما يحفظ من مصادر الأقدمين، وهدف إلى الكشف عن الأساليب القرآنية وما تحمله من إشارات بيانية، ودلالات معنوية، وكان بعيدًا كل البعد عن التقليد، ميالًا إلى استخدام عقله في الاستنباط والترجيح والاستدلال. وقد تميّز تفسيره ببيان جوانب مختلفة من الإعجاز البياني والمعنوي، وذلك من خلال تلك الإشارات إلى النكت البلاغية في النظم القرآني، وإلى تلك الدلالات والحقائق الفكرية والعلمية التي أثبتها العلم الحديث.

فقد جاء سعيد النورسي في عصرٍ هيمن عليه الصراع الفكري والاختلاف المذهبي، حيث تُعدّ مرحلة القرنين التاسع عشر والعشرين من أشدّ المراحل في التحدّيات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتي خطّط فيها الغرب مائة مخطّط، كما يقول الوزير الروماني المسيو دجوفارا D. Juvara في كتابه باللغة الفرنسية: " Cent Projets de Partage de

(26) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص22.

laTurquie" (مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية) القوة العالمية الأولى التي كانت في ذلك الوقت[27].

فنستطيع أن نقرر أن القرن التاسع عشر كان عصر الغزو الفكري الذي استُهدِفت فيه الدولةُ العثمانية، في ضرب مرجعيّتها التي قامت على الكتاب والسنة.

وكان توجه سعيد النورسي الحنفي له أثر في تفكيره؛ فهو فقيهٌ حنفي المذهب، متصوف الأصول، كما كان لاستيعابه معارف عصره من خلال دراسته لعلوم العصر والاطلاع على نظرياتها في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والعلوم البحتة الأخرى كالفيزياء، والكيمياء، والرياضيات- أثر كبير في مشروعه الحجاجي، كما أمدَّته براعته في علم الكلام بجملةٍ من الأدوات التحليلية الإجرائية ذات الطبيعة العقلانية التي تؤطرها آلية حوارية تداولية تستدرج العقول إلى زاوية الإقرار والتسليم وفق أسلوب الحجاج الذي هو البرهان وما به يُدفع الخصم[28]، وهو "نشاط إقناعي خطابي، يقوم على الاعتقادات والوقائع، ذو كفاية نصية وسياقية، يشتغل كاستراتيجيات توظِّف العوامل الذاتية والقدرات الخطابية ليُحقِّق النجاح والفعالية [29]". دفاعًا من سعيد النورسي بحنكةٍ وتبصّرٍ عن إعجاز القرآن الكريم. فانطلق في تأسيسه متأثرا بنظرية النظم الجرجانية.

ولعل "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" من أهم تفاسير القرآن الكريم التي تجمع بين علوم اللغة (النحو، البلاغة، الدلالة، التداولية)؛ كما أنه ألف رسائل في موضوعات العقيدة الإسلامية وجزئياتها سمّاها برسائل النور، ويتجاوز عدد تلك الرسائل مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية وهي: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات، والملاحق، وهناك رسائل كتبها بالعربية وهي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، وإحدى عشرة رسالة فمنها

(27) لوثروب ستودارد (Lothrop Stoddard)، حاضر العالم الإسلامي، تعليق شكيب أرسلان، ترجمة: عجاج نويهض، (بيروت: دار الفكر، دت)، 218/3.

(28) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار أدر، 1997م)، 2/ 228.

(29) محمد طروس، النظرية الحجاجية، (المغرب: دار الثقافة، 2005م)، ص170.

المثنوي العربي النوري، والصقيل الإسلامي، والخطبة الشامية، ويذكر أن رسائل النور استغرق تأليفها من سنة 1926 إلى 1950م.

اعتمد النورسي في أثناء تأليفه "إشارات الإعجاز" على القرآن الكريم اعتمادًا كبيرًا، فلم يكن بين يديه أيّة مصادر أو مراجع يرجع إليها، سوى ما كان عالقًا بذهنه من محفوظات ومطالعات للكتب التي قرأها في أيام الطلب، ولئن كان النورسي قد جمع بين قوة الذكاء وسعة الحافظة؛ فإنّنا نلمح في كتاباته بعض الإشارات إلى بعض المصادر كان قد اطّلع عليها، وأفاد منها في كتابة تفسيره، منها بعض كتب التفسير، وكتب البلاغة واللغة وبعض كتب الفلسفة، وقد ذكر النورسي أسماء بعض العلماء الذين قرأ لهم وأفاد منهم في مجال اللغة والأدب والبلاغة مثل الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والسّكاكي، ولكن على أهمية هذه المصادر وتنوّعها، يبقى القرآن الكريم هو المصدر الرئيس الذي أمدّ تفسيره ورسائل النور بعد ذلك بتلك القوّة والتأثير، ولعلنا نلاحظ ذلك من خلال كلامه عن التمثيل حيث قدم له قائلًا تحت عنوان" فصل في مواقع التمثيل وتأثيره": "اعلم! أن مما اتفق العقلاء عليه: أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية الى صورته، كساها ابهةً، وكسبهًا منقبةٌ، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا.

فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخمَ، وأنبلَ في النفوس وأعظمَ، وأهزّ للعِطْف، وأسرعَ للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغر المواهب والمنائح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر.

وإن كان ذمًّا كان مَسهُ أوجعَ، وميسمه ألذَع، ووقعه أشدَّ، وحدُّه أحدَّ. وإن كان حجاجًا كان برهانه أنورَ، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر.

وإن كان افتخارًا كان شأوه ابعدَ، وشرفه أجدَّ، ولسانه ألدَّ. وإن كان اعتذارًا كان إلى القلوب أقربَ، وللقلوب أخلبَ، وللسخائم أسلّ...[30]".

وهذا هو نفس كلام عبد القاهر الجرجاني عن التمثيل حيث يقول: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس إليها، ودعا القلوب إليها... فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وإن كان ذما كان مسه أوجع وميسمه ألدغ، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[31]. فالتشبيه التمثيلي يقوم على إخراج النفوس من الخفي إلى الجلي، ومن المعقول إلى المحسوس، والملاحظ أن سعيدا النورسي يقرنه بالبرهان والبيان، وهذا للعلاقة الرابطة بينهما جميعا، لأن أساس البيان الإفهام وأساس الإفهام إيراد الحجج بغية الوصول لمراد المتكلم.

4- مراحل بناء النص الحجاجي:

النص الحجاجي بناء لغوي يُبنى بناء تفاعليا مدعوما بأدوات ووسائل توظف لغرض الإقناع والتأثير، وقد جعل أرسطو المكونات النصية للخطاب – في حديثه عن وسائل الإقناع في فن الخطابة — ترتد إلى ثلاثة عناصر رئيسة يلحق بها عنصران ثانويان، وقد جعل تلك المراحل خطاطة بنى عليها كتاب الخطابة..." فالمقالات الست من الثانية إلى السابعة من كتاب المواضع تخص مرحلة استكشاف الأدلة، والمقالة الثامنة تناول فيها ما يخص ترتيب أجزاء القول والإلقاء والأسلوب جميعا[32]، وفيما يلي عرض لهذه المراحل من خلال الوقوف على منهج سعيد النورسي الحجاجي في مؤلفاته:

---

(30) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص114.

(31) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، (جدة: دار المدني، 1991م)، ص116.

(32) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، (تونس: كلية الآداب، جامعة منوبة، د.ت)، ص175.

4-1: الإيجاد (مصادر الأدلة ومنابع الحجج):

يطلق عليها د. محمد طروس الإعداد[33]. وهو عبارة عن تحديد المشكلة المطروحة والبحث عن الوسائل المناسبة للإقناع. ويمثل هذا العنصر في البلاغة الحجاجية الجزء المركزي الحاسم، فأمر الخصومة في (إشارات الإعجاز) واضح المعالم شديد اللهجة، فيه كثير من الحجاج خاصةً في المواضع التي قارع فيها خصومه.

فإشارات الإعجاز يعد مقدمة ومدخلًا للتفسير البلاغي الإشاري للقرآن الكريم، ذلك أنه أسهب فيه من ذكر الوجوه البلاغية في الحديث عن بيان القرآن وفصاحته، وأبرز وجوه الحسن في الكلام، ودرس سعيد النورسي المعاني ووجوهها، وكيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق، وتتبع خاصها ومشاعها، وفصّل أجناسها وأنواعها... كما أنه أسهب في الحديث عن المجاز والاستعارة، والتمثيل والتشبيه والتخييل، لأنها صور المعاني، ولأنها القطب الذي تدور حوله البلاغة.

4-2: **الترتيب**:

(وضع الأدلة موضعها من الخطاب) ويطلق عليها د / طروس التنظيم[34]. فبعد تحديد الحجج والتفكير في مكونات الخطاب وأجزائه الكبرى، يفكر في ترتيب كل ذلك، بحيث يضع كل جزء في موضعه المناسب. وقد أعد بلاغيو الحجاج ترتيب القيم أهم من معرفتها وتمجيدها.

ف"الحجة وحدها لا يمكن أن تكون فعالة لمجرد أنها حجة جيدة، بل ينبغي بالضرورة لكي تكون فعالة حقًّا، أن تُصاغ الصياغة المناسبة[35]"، وقد وجدنا ذلك جليًّا في منهج

(33) محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص18.

(34) المصدر نفسه، ص20.

(35) محمد الولي، الاستعارةً، ص57.

سعيد النورسي خلال ترتيبه لحججه في حديثه عن مسألة الإعجاز في القرآن، فهو قرر أن إعجاز القرآن الكريم حقيقة واضحة.

فهو لا يتحدث بدون تنظيم لحججه، وذلك ظاهر جلي من خلال تفريعات الدلالة خلال الكتاب، ومن ذلك تقسيمه للأوجه البلاغة خلال حديثه عن قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 17- 20].

حيث يقول:" اعلم! أن أساس إعجاز القرآن في بلاغة نظمه. وبلاغة النظم على قسمين:

قسم كالحلية وقسم كالحلّة:

فالأول: كاللآلئ المنثورة والزينة المنشورة والنقش المرصع. ومعدنه الذي يتحصل منه هو توخّي المعاني النحوية الحرفية فيما بين الكلم، كإذابة الذهب بين أحجار فضة. وثمرات هذا النوع هي اللطائف التي تعهد بياتها فن المعاني..

والقسم الثاني: هو كلباس عال وحلة فاخرة قدّت من اسلوب على مقدار قامات المعاني، وخيطت من قطعات خيطًا منتظمًا فيليس على قامة المعنى أو القصة أو الغرض دفعة. وصناع هذا القسم والمتكفل به فن البيان.. ومن أهم مسائل هذا القسم

التمثيل. ولقد أكثر القرآن من التمثيلات الى ان بلغت الألف؛ لأن في التمثيل سرًّا لطيفًا وحكمة عالية؛ اذ به يصير الوهم مغلوبًا للعقل، والخيال مجبورًا للانقياد للفكر، وبه يتحول الغائب حاضرًا، والمعقول محسوسًا، والمعنى مجسمًا، وبه يجعل المتفرق مجموعًا، والمختلط ممتزجا، والمختلف متحدًا، والمنقطع متصلا، والأعزل مسلّحا. وان شئت التفصيل

فاستمع معي لما يترنم به صاحب دلائل الاعجاز في أسرار بلاغته"[36]، فهو يشير بشكل منظم إلى نظرية النظم الجرجانية، ويذكر ذلك واضحًا صريحًا في كتابه موضع الدراسة.

3-4: الافتتاح (الاستهلال) والسرد:

في الوقت الذي يتحدث فيه الموسيقيون عن البريلود يتحدث الكوميديون عن البرولوك ويتحدث الخطباء عن الإكزورد، أي الافتتاح. يتعلق الأول بالجزء البدئي المختصر ووظيفته هي إفادة المتلقي ولفت انتباهه وكسب عطفه أي استمالته[37]. وينبغي أن يكون الافتتاح مرتبطًا مع المضمون ببراعة الاستهلال؛ فالمتكلم يبدأ كلامه بما يشد انتباه من يكلمه، فيتخير من اللفظ ما يناسب مستمعه، ويعقب الافتتاحَ السردُ وهو العرض المفصل لما تم اختصاره في المجمل والمعروض في الافتتاح. فإذا كان محتوى الرسالة مبنيًّا بشكل مفصل وفي شكل نقط، فإن المجمل يعقبه التفصيل وإذا كان محتوى الرسالة مترابط الأجزاء فإن المجمل يعقبه السرد. فهو الجزء المكمل للخطاب الشفوي والمكتوب الذي يضطلع برواية حدث أو سلسلة من الأحداث[38]. وقد تجلى ذلك في حجاج سعيد النورسي لإعجاز القرآن الكريم؛ فهو في بحثه عن إعجاز القرآن لم يذهب للقرآن مباشرة، وإنما كتب رسائل النور التي تُعد تفسيرًا حقيقيا للقرآن الكريم، فقد كانت أدوات بحثه في الإعجاز تدور حول المعرفة الواعية باللغة والمنطق وسائر العلوم، وفي استهلاله للكتاب يبدأ بعنوان" إفادة المرام" وهو يوضح من خلاله هدفه ويصل إلى عنوان جانبي آخر "نتيجة المرام" ثم ينتقل إلى تعريف القرآن وينظر إلى القرآن بوصفه مفسرا لكتاب الكون[39].

---

(36) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص113.

(37) محمد الولي، الاستعارة في محطات عربية ويونانيو وغربية، الطبعة الثانية، (الرباط: دار الأمان، 2005م)، ص85.

(38) جيرار جنيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الطبعة الثانية، (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 1997م)، ص37.

(39) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص22.

4-4: الحجاج:

كما يعقب الافتتاحَ السردُ، يعقب السردَ الحجاجُ الذي يجعله أرسطو مفخرة لكل خطاب. ويتمثل ذلك في القدرات الحجاجية المبتكرة والمركبة عند سعيد النورسي.

ويتسم منهج سعيد النورسي بالجدل والردِّ والاعتراض مشفوعًا بالحجج والأدلة؛ فدواعي تدوين كتابيه هي ردودٌ على أفكارٍ تبنتها مرجعيات علمية مختلفة المشارب، متباينة المذاهب، ساقتْ لها الكثير من الدعائم الحجاجية؛ لترسيخها في أذهان المستقبلين، وقد تعددت أنواع الحجاج وأنماطه في مشروعه ومن ذلك الحجاج النفسي، والحجاج الأسلوبي، والحجاج الإدراكي.

ويمكننا أن نقف على منهج سعيد النورسي في الحجاج من خلال جانبين:

أحدهما: أساليب في الحجاج متعارف عليها، كالرد على أقاويل المعترض وعلى شبه تأويله، وكالتوجه إلى المخاطب وافتراض علمه واقتناعه بما يُلقى إليه وبناء الأحكام والقواعد على هذا الافتراض.

الثاني: الجهاز الحجاجي للمناظرة، وهو جهاز مفهومي متأصل في المجال التداولي الإسلامي العربي، فقد عمد سعيد النورسي إلى اقتباس عناصر مختلفة منه في تكوين تصوره للاستعارة، منها على سبيل المثال: (الادعاء)، و(الدعوى)، و(الإثبات)، و(التقرير)، و(السؤال)، و(الاعتراض)، و(المعارضة)، و(الدليل)، و(الشاهد)، و(الاستدلال)، و(القياس)، كما جعل من مفهوم (الادعاء) أداته الإجرائية الأساسية في وصف آليات الاستعارة، ونقله إلى هذا المجال البلاغي بكلِ أوصافه المشهورة التي تعود إلى ثلاثة أصلية هي: التقرير أو الخبر، والتحقيق، والتدليل، ويهدف من ذلك إلى تصحيح المفاهيم السابقة الراسخة في الأذهان، والإقناع بفكرة النظم وأنها دليل الإعجاز، وكانت وسائله الحجاجية هي الاجتهاد والجدل ومناقشة المفاهيم.

أ- مصطلحات سعيد النورسي الحجاجية:

وظف سعيد النورسي الكثير من مصطلحات الحجاج في مشروعه الحجاجي، ومن ذلك "الفكر"/ "البصيرة"/ "التأمل"/"الدليل/ الدلالة/ الاستدلال/ الاقتضاء/ الشبهة"[40]، وقد وقف د. بوشريحة براهيم و د. عزوز ميلود في بحثهما " الحجاجُ ومصطلحاته في التفكير البلاغي لدى سعيد النورسي على تلك المصطلحات بالتفصيل، فمفردة "دلائل" في عنوان كتابه دلائل الإعجاز تشير إلى المنحى الحجاجي، فهي جمع دليل، والدليل هو البرهان المصدّق للكلام، فهو سيقدم جملة الأدلة والبراهين والحجج الدالة على إعجاز كلام الله تعالى.

كما أنه استعمل مفردات الحجاج على اختلاف أنواعها، ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقدمة "دلائل الإعجاز" فهو يتحدث كثيرا عن الحجة فيقول: "فينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه ويستقصي التأمل لما أودعناه، فإذا علم أنه الطريق إلى البيان والكشف عن الحجة والبرهان تبع الحق وأخذ به وإن رأى أن له طريقا غيره أومأ لنا إليه ودلنا عليه"[41]. فنجد مصطلح الحجة واردا في كلام سعيد النورسي من مقدمة الكتاب إلى فصول أخرى تأتي من بعد، فيوردها في حديثه عن الحجة في القرآن الكريم بقوله:" وذاك أنّا إذا كنّا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر... إلّا لتكون الحجة

(40) بوشريحة براهيم وعزوز ميلود، الحجاجُ ومصطلحاته في التفكير البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني، (ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 04-جانفي 2019م)، من ص39 إلى ص53.

(41) عبد القاهر بن محمد الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق: عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الجيل، 2004م)، ص4.

به قائمة على وجه الدهر، تعرف في كل زمان، ويتوصّل إليها في كل أوان"[42]. وغير ذلك كثير مبثوث في ثنايا المشروع.

ب- الطاقة الحجاجية للأساليب البلاغية عند سعيد النورسي:

اعتمد النُّورسي على أساليب البلاغة للكشف عن المعنى، وخاصّة أساليب الطلب كالاستفهام والنّداء والأمر والنهي، وأساليب التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر، واهتم كثيرًا بتجلية الإيجاز في العبارة القرآنية، وهو يرى أنّ الإيجاز هو منشأ الإعجاز[43].

وللنظم والأساليب البلاغية طاقة حجاجية عند سعيد النورسي، فللجانب الجمالي أثر بليغ في القرائح، وقدرة على استمالة العواطف، واستقطاب للجوارح، وما الاقتدار على التأثير إلا إمتاع للإقناع، وتتَضح عناية سعيد النورسي بحجاجية الأساليب البلاغية من خلال ما أشار إليه من طاقة إقناعية من خلال وقوفه قوله تعالى: {والذينَ يُؤْمِنون بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزل من قَبْلِكَ وبالآخرةِ هم يوقنونَ} (البقرة4) وظَّفَ ما يقارب أربعين نكتة بلاغية، وفائدة بيانية، فذكر: الإيجاز، ومطابقة مقتضى الحال، والحذف، والتعميم، والتوزيع، والتقسيم، والتضمين، والتكثير، والتخصيص بعد التعميم، والتشويق، والتنصيص، والتلويح، والتفصيل بعد الإجمال، والترصيع، والرمز، وإناطة الحكم بالعلل لا بالذوات، والتجديد، والثبوت، والإيماء، والإبهام، والإجمال، والتحقيق، وتنزيل الماضي منزلة المضارع لنكت بلاغية، والحقيقة والمجاز، ومراعاة الأكثر، والعدول من (إليك) إلى (عليك)، والإيماء، والتضمين والإشمام، والتصوير، والتأكيد... وبعض هذه الأساليب البلاغية كرَّرها ووظّفها في أكثر من موضع كالتلويح، والإيجاز. وعدَّد في مفردة واحدة (من قبلك) حوالي عشر فوائد بلاغية، وفي (بالآخرة هم يوقنون) مثل ذلك، إلخ، هذا إضافة إلى نظرته الخاصة

(42) الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص8.

(43) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص56.

للنظم حيث تحدث عن أسرار ترتيب هذه الآية وناقش تعليلات ربطها بغيرها، في أربع نكت بلاغية في غاية التحقيق والتقرير[44].

كما أنه وقف على كثير من القضايا البلاغية، وكان حريصا على استكشاف المعنى الضمني أو ما يسمى الإشاري، أو ما يمكن أن يكون هنا تمثيلا دقيقا لقضية أفعال الكلام التي هي أهم القضايا التداولية؛ إذ يدل الفعل الكلامي كل ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعدّ نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قوليه لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ومن ثم إنجاز شيء ما ونقف على ذلك خلال تفسيره للآيتين الآتيتين قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 21-22].

إذ يقول في تفسيره للأفعال في الآيتين: «أما النداء في (يا) فلأن المنادى هو الناس المشتمل على الطبقات المختلفة من الغافلين والغائبين والساكنين والجاهلين والمشغولين والمعروضين والمحبين والطالبين والكاملين، يكون هذا النداء للتنبيه وكذا للإحضار، وكذا للتحريك، وكذا للتعريف، وكذا للتفريغ، وكذا للتوجيه، وكذا للتهييج، وكذا للتشويق، وكذا للازدياد، وكذا لهز العطف فللتنبيه عدة مواضع تختلف باختلاف المقام»[45].

ونشير إلى أن أداة النداء كما هي معروفة تنوب عن الفعل "أدعو" أو "أنادي" فالفعل الكلامي في بداية الآية هو فعل تأثيري تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين وتهيئتهم لتلقي الخطاب ويسترسل "النورسي" في إعطاء بعد لهذا الحرف فيقول: "أما البعد في (يا)

(44) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص65 إلى ص68.

(45) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص159.

مع أن المقام مقام القرب فإشارة إلى جلالة وعظمة أمانة التكليف.... وأيضا إيماء إلى بعد درجة العبودية عن مرتبة الألوهية.... وأيضا تلويح إلى شدة غفلة البشر[46]"

أما الفعل الكلامي الثاني في الآية الأولى فهو فعل إنجازي (أمر) تتمثل قوته في دعوة المتخاطبين إلى عبادة الله الخالق؛ إذ بين "النورسي" غرض هذا الفعل "أما اعبدوا فبحكم جوابيته للنداء العام مناداة للطبقات المذكورة يدل على الإطاعة ويشير إلى الإخلاص، ويرمز إلى الدوام، ويلوح إلى التوحيد، أي أطيعوا واخلصوا... واثبتوا... وازدادوا... ووحدوا...[47]" وأما الفعل الكلامي في بداية الآية الثانية: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: 22]، فهو فعل تقريري يبين ويقر عظمة الله، إذ يقول "النورسي": "أما هيئات ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ فاعلم أنها إشارة إلى التهييج على العبادة ببيان عظمة قدرة الصانع وإلى التشويق عليها بالامتنان كأنه يقول: "أيها الإنسان إن الذي سخر لك الأرض والسماء يستحق أن تعبده"، وكذا إيماء إلى فضيلة البشر وعلو قيمته ومكرميته عند الله[48]".

ثم ينتقل إلى الفعل الكلامي الثاني في الآية الثانية فيقول: «وأما نظم هيئات ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي لأنه هو المعبود فلا تشركوا، ولأنه هو القادر المطلق والأرض والسماء قبضته فلا تعتقدوا له شريكا؛ ولأنه المنعم فلا تشركوا في شكره، ولأنه هو خالقكم فلا تتخيلوا له شريكا أما (تجعلوا) بدل تعتقدوا فإشارة إلى معنى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾»[49]. فالفعل الكلامي في هذه الآية هو فعل إنجازي يتمثل في النهي، وقد تضمن ملفوظ الآية إلى جانب ذلك قوة التوبيخ.

(46) المصدر نفسه ص159.
(47) المصدر نفسه ص159.
(48) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص161.
(49) المصدر نفسه ص164.

فالالتفات إلى متضمنات القول مدخل حجاجي واضح ويعد القول المضمر من القضايا التداولية، وهو خروج الملفوظ عن معناه الحقيقي إلى عدة معاني استنتاجية ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها، فهي معاني ذات طبيعة غير مستقرة توافق الحالة التي تصدر عنها، وقد وجدنا ذلك جليا في تفسير النورسي، حيث خرج في مواضع كثيرة من دائرة التفسير إلى التأويل في كتابه (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) ومن ذلك وقوفه على تفسير الحروف المتقطعة في القران الكريم إذ يقول: "إنّ (ألم) إشارة إلى نهاية الإيجاز الذي هو ثاني أساسي الإعجاز، وفيه لطائف منها:

* أن النصف المأخوذ أكثر استعمالا من المتروك.

* أن القران الكريم كرر من المأخوذ ما هو أيسر على الألسنة كالألف واللام.

* ومنها أن التهجي أساس القراءة ومبدؤها، فيومئ إلى أن القرآن مؤسس لطريق خاص، ومعلم لأميين[50]" فقد وقف على عدة تأويلات تؤكد إعجاز القرآن الكريم في لفظه.

ج- الاحتجاج بالسلطة واستدعاء النصوص.

قام النورسي باستدعاء نصوص قرآئية وأمثال وشواهد شعرية تبين مدى قدرة التصوير على أخذ المعنى نفسه الذي يتداول بين الناس، وتحويله إلى صورة بلاغية ذات قيمة جمالية، ولا شك أن الشاهد الشعري يوظف باعتباره حجة مثبتة للدعوى، يلجأ إليه المحاجج لدعم فكرته وتقويض حجة خصمه، كما يجعل القول "مسنودا إلى خلفيات معرفية ووجدانية"[51].

(50) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص41.

(51) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، المطبعة الثالثة عشر، (الرباط: دار الأمان، 2013م)، ص241.

والحجاج باستخدام سلطة النص القرآني أو الحديثي أو الشعري أو الأمثال أوما يطلق عليه الحجة الجاهزة له قيمة كبيرة في الاستدلال وذلك لأن الاستدلال عند المتلقي يقوم على جملة من العمليات المنطقية الذهنية الذاتية التي يعتمد فيها على آلية القياس، حيث يستنبط فيها المتلقي نتيجته من مدركاته المكتسبة سلفا، والناتجة عن مواقف وتجارب سابقة أقرّ بصدقها العرف، فيكون بذلك المثل" حصيلة ونتيجة لتجربة إنسانية، يُستحضر في موقف حياتي مشابه[52]".

يستعمل القرآن الكريم حجة غير صناعية، لما له من مكانته في أذهان المتلقين وقلوبهم، فهو الأساس الأول للشريعة الإسلامية، لا يجرؤ أحد على الاعتراض عليه، بل على عليهم أن يقولوا " سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير". فالقيمة السلطوية للقرآن ترجع إلى قيمته الدينية العالية، فهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو – أيضا – المصدر الأول للنحاة. ولأهمية الاقتباس من القرآن نجد الثعالبي(429هـ) يصنف كتابًا بعنوان " الاقتباس من القرآن الكريم" يقدم فيه للأدباء شواهد يمكن استخدامها عند الضرورة لتساعدهم على إقناع المتلقي، وهو قد يورد بعض الشواهد النبوية في بعض الأحيان[53].

ونجد ذلك جليا في مشروع سعيد النورسي، ومن ذلك قوله: "وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود: 44]، فتجلى لك منها الإعجاز، وبحرك الذي تسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض"[54].

(52) أبو سنة إبراهيم، فلسفة المثل الشعبي (القاهرة: المكتبة الثقافية، مطابع الدار، فرع الصحافة، ع 193، 1968م)، ص11-12.

(53) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، تقديم: عبد الحكيم راضي، (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م، ص13.

(54) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45.

ويستشهد "النورسي" بالقرآن الكريم في تفسير القرآن للتدليل على صحة التفسير من جهة، وللتدليل على تماسك النص القرآني وتناسبه من جهة ثانية، ولإقناع المتلقي بما يذهب إليه في تأويل الآية القرآنية من جهة ثالثة، وهذا كثير ولا حاجة للتدليل عليه، فهو واضح ظاهر.

كما يستشهد بالحديث النبوي بوصفه حجة جاهزة، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23-24]، وفي أثناء حديثه عن النار يقول: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله عيه وسلم: «**اشتكت النار إلى ربّها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضا، فجعل لها نفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدّة ما تجدون من اليرد من زمهريرها، وشدّة ما تجدون من الحرّ من سمومها**»(55).

كما أن سلطة الإجماع أو الرأي العام تُستخدم تقنية حجاجية فنجده يقول: "وهل تجد أحدا يقول (هذه اللفظة الفصيحة)، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم {... }، وهل قالوا: (لفظة متمكنة ومقبولة)، وفي خلافه (قلقة ونابية ومستكرهة)، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق" (56).

استند الشيخ سعيد النورسي هنا إلى إجماع يمثل حجة السلطة؛ إذ إن اتفاق جماعة من الناس على رأي ما، يتيح لهذا الرأي قوة التأثير في الخصوم، وقد استهل سعيد النورسي

(55) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص185.

والحديث أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، 4/ 120 (3260)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه، 1/ 431 (617).

(56) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45.

هذه الحجة باستفهام خرج به عن معناه الأصلي إلى النفي، ليصل إلى نتيجة ضمنية منه، هي: "أن الكل مجمع على اعتبار النظم معيارا للحكم على فصاحة اللفظ "، وزاد من تأكيد هذه النتيجة بضمير جماعة آخر، في قوله: "وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة.. ". وبما أن حجة السلطة " لا يمكنها أن تستقل بملفوظ حجاجي؛ لأنها لا تملك أن تحمل لوحدها عبء الحجاج "[57]، نلاحظ أنها التبست بوجه أسلوبي (الاستفهام)، له دوره في إثارة الشك في ذهن المخاطب، لتتضافر الأوجه الأسلوبية مع هذا النوع من الحجج، وتخدم غرضا واحدا هو: التأثير في الخصم وحمله على تغيير رأيه.

د- القياس والسلالم الحجاجية:

يرى ديكرو أنَّ السلالم الحجاجية مرتبط بالنتيجة المستخلصة من الحجج المقدمة من المتكلم، فالمتكلم يقدم (ح 1)، و(ح 2) بوصفهما تؤديان إلى النتيجة (ن 1)، وتتدرج من الضعف إلى القوة إلى الأكثر قوة فيما يسمى بالسلم الحجاجي، ولذلك فهو يعرفها بـ«علاقة تراتيبية للحجج»[58]، وهي ترافعٌ لفائدة النتيجة؛ فقد تكون الحجج الواردة في الملفوظ لفائدة النتيجة نفسها، وهو ما اصطُلح عليه بالتساند الحِجاجي فتكون العَلاقة السُّلَّمية تفاضلية؛ إذ تُرتَّب هذه الحجج من الأقوى إلى الأضعف في عَلاقتها بالنتيجة في ترتيب سُلَّمي تفاضلي تلعب فيه الروابط الحِجاجية دور المؤلف بين هذه الحجج والمرتّب لها، وقد تكون العَلاقة السُّلَّميَّة تقابلية، وهي تتولد من مبدأ التعارض الحِجاجي؛ أي أنَّ الحجج الواردة في الملفوظ لا تتجه لإسناد النتيجة نفسها، وإنما تساند كلُّ حجة نتيجة معارضة للنتيجة التي تساندها الحجة الأخرى.

(57) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، (المغرب: دار كنوز المعرفة، 2016م)، ص142.

(58) صلاح جباري شناوة، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، (العراق: جامعة المثنى – كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية) رسالة علمية غير منشورة، 2016م)، ص81.

وتخضع السلالم الحجاجية لديه إلى قانوني النفي والقلب، أي أنَّ نفي حجة الأول تعني أنها حجة للرأي المعارض، أما القلب فيعني كون السلم الحجاجي للأقوال المثبتة عكس السلم الحجاجي للأقوال المنفية.

وتصنف السلالم الحجاجية في أعلى درجات التأثير والإقناع عند الاستدلال لاعتمادها على الخلفية الذهنية عند المتلقي، وتركز السلالم على التدرج في توجيه الحجج بحسب القوة والضعف والكم والكيف.

وقد شغف النورسي بإعمال العقل، والتغلغل في قلب المعرفة، والصبر عليها والانقطاع لها، وكان يحثّ قارئه على إيقاظ الهمة، وتحريك الخاطر، مستعينا بالتعليل، والبحث عن الدليل، ومراجعة النظر، والموازنة بفكرٍ منطقيٍّ منظم، باستنطاق النص وتقليبه، فهو يميل في تعليلاته لجودة النص والجمالية الأدبية إلى الأسس العقلية، ويرى أن ذلك يحتاج إلى دِقَّة الفكر، ولطف النظر، ونفاذ الخاطر، ونلاحظ ذلك من خلال حديثه عن القياس التمثيلي، حيث يقول: "(ألم) يرمز ويشير ويلوح ويلمح بالقياس التمثيلي المتسلسل إلى أن هذا كلام الله الأزلي نزل به جبريل على محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام، لأنه كما أن الأحكام المفصلة في مجموع القرآن قد ترتسم في سورة طويلة إجمالًا وقد تتمثل سورة طويلة في قصيرة إشارة، وقد تندرج سورة قصيرة في آية رمزًا، وقد تندمج آية في كلام واحد تلويحًا، وقد يتداخل كلام في كلمة تلميحا، وقد تتراءى تلك الكلمة الجامعة في حروف مقطعة كـ (سين ولام وميم)[59]" كما أنه في تفسيره للآية القرآنية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17] يقول: "وأما (استوقد)، ففيه إشارة إلى التكلف والتحري، وفي إفراده مع جمع الضمير في (نورهم) رمز لطيف إلى أن فردًا يوقد لجماعة، ولقد ألطف في الإفراد إيقادًا، والجمع استنارة، وأما (نارًا) بدل (المصباح) أو غيره فإشارة إلى المشقة في نور

(59) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص43.

التكليف، ورمز إلى أنهم يوقدون تحت النور الظاهري نار فتنة، وأما تنكيره فإيماء إلى شدة احتياجهم حتى أنهم يرضون بأية نار كانت" [60]. تجلى القياس في النص بشكل واضح خلال حديثه عن الأحرف المقطعة وإشارات دلالاتها.

كما أنه يستخدم القياس المنطقي مع الأقوال المشهورة لإثبات القضايا التي يتناولها، فقد اعتمد على قول المتنبي:

ونَذيمُهُم وبِهِم عَرَفْنا فَضْلَهُ ** وبِضِدِّها تتَبيَّن الأشْياءُ

حيث يقول: "وما اشتهر من: «أن الأشياء إنما تُعرَف بأضدادها» معناه: إن وجود الضد سبب لظهور ووجود الحقائق النسبية للشيء. مثلا: لو لم يوجد القبح ولم يتخلل بين الحسن لما تظاهر وجود الحسن بمراتبه غير المتناهية"[61]. وذلك في معرض حديثه عن التضاد في سورة الفاتحة بين" الذين أنعمت عليهم" و"غير المغضوب عليهم ولا الضالين" وقد استند إلى ذلك للتدليل على الحكمة من خلق الشر في الكون.

هـ- الحوار وقيمته الحجاجية:

الحوار من أنجع الوسائل الحجاجية، فهو الذي يحقق التفاعل والتداخل والتعاون للخطاب، وقد ظهر ذلك جليًّا في كتابات النورسي عامة وفي الإشارات خاصة، فهو من خلال أسلوب الفنقلة أو الحوار "إن قلت أقول" يستنطق المقابل في خطاب بين متلق ومرسل يطلب أحدهما من الآخر الحديث عن أشياء يجهلها المتلقي، وهنا تقوى سلطة الإقناع؛ إذ المتلقي في مقام التلميذ بين يدي أستاذه، والمريد الذي يصغي إلى شيخه في كل شاردة وواردة، ومن ذلك قوله: "إن قلت: إن الله عز وجل حكيم غني فما الحكمة في خلق الشر والقبح والضلالة في العالم؟

(60) المصدر نفسه ص130.

(61) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص35.

قيل لك: اعلم! ان الكمال والخير والحسن في الكائنات هي المقصودة بالذات وهي الكليات؛ وان الشر والقبح والنقصان جزئيات بالنسبة اليها قليلة تبعية مغمورة في الخلقة، خلقها خالقها منتشرة بين الحسن والكمال، لا لذاتها، بل لتكون مقدمة؛ وواحدًا قياسيًّا، لظهور – بل لوجود – الحقائق النسبية للخير والكمال.

إن قلت: فما قيمة الحقائق النسبية حتى استُحسن لأجلها الشرّ الجزئي؟

قيل لك: إن الحقائق النسبية هي الروابط بين الكائنات.. وهي الخطوط المنسوج منها نظامها.. وهي الاشعة المنعكس منها وجود واحد لأنواعها. وإن الحقائق النسبية أزيدُ بألوفٍ من الحقائق الحقيقية؛ إذ الصفات الحقيقية لذاتٍ لو كانت سبعة كانت الحقائق النسبية سبعمائة. فالشر القليل يغتفر بل يستحسن لأجل الخير الكثير؛ لأن في ترك الخير الكثير – لأن فيه شرًّا قليلًا – شرًّا كثيرًا، وفي نظر الحكمة إذا قابل الشر القليل شرًّا كثيرًا صار الشر القليل حسنًا بالغير، كما تقرر في الأصول في الزكاة والجهاد[62].

5–4: الخلاصة:

إن الجزء المختصر الذي تنتهي به كل مسألة عرضها سعيد النورسي من خلال دقة الاستدلال والحجاج، وفيها يلخص ما تمت البرهنة عليه في الحجاج. فهو حريص على أن يثبت صحة دعواه، ويحرص على أن يكون المتلقي أيضا مقتنعا بفكرته، وذلك بفضل التطابق بين السرد (البروبوزيسيو) والاستنتاج. وبفضل التكرار بشكل مختصر للحجج التي تم الإدلاء بها في الحجاج

بعضها على بعض ومقاصد المتكلم، والغايات المرسومة في ذهنه لنصه، مما لا بد من جلب المستمع إليه وإغرائه بالوقوع في "دائرة سحره".[63] "فاهتمامنا بالبلاغة يتعدى

(62) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص35.

(63) حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، الطبعة الأولى، (تونس: دار قرطاج للنشر والتوزيع، 1999م)، ص90.

الوظيفة الجمالية إلى الوظائف الإفهامية والتأثيرية [64]."ولذلك" فهي تسخر لأجل هذه الغاية كل الإمكانات الفكرية والعاطفية واللغوية.. والكلام الذي يحقق هذه الغاية يسمى بليغا ولو لم يكن يعتني بجمالية العبارة"[65].

(64) مليكة غبار، أحمد أمزيل، محمد رويض، علي أعمور، الحجاج في درس الفلسفة، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2006م)، 1/ 24.

(65) فرانسوا مورو، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة: محمد الولي – عائشة جرير، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2003م، ص9.

المبحث السادس

الأسلوب النورسي مظهر حجاجي

لا شك أن الأسلوب هو الرجل، وأن الأسلوب يكون على أقدار المعاني وأقدار المتلقين، فالصياغة أو العبارة أو البيان[66] من أهم ما يميز المنهج النورسي، حيث إنه بعد أن يحدد منطلقاته وحججه، ينتقل لكي يصوغ حجاجه لغويًّا وبشكل ملموس، من خلال ما حشده في لحظة الإيجاد من حجج ومقومات طبائع الجمهور، وما نظمه في لحظة الترتيب. ويلتقي هنا، في هذه اللحظة الصياغية، كل ما يتعلق بالنحو، أي عناصر السلامة اللغوية المجردة والتداولية أو المعاني باعتبار هذه تتعلق باستخدام اللغة في سياق ما، أي إن الأمر يتعلق بقابلية الفهم الواضح ضمن السياق.

فإذا كانت الحجة تشكل العنصر أو الركن الأساسي من العملية الاتصالية، فإن صوغها أسلوبيا يشكل أهم شروط نجاحها، فالحجة ليست نصًّا مجردًا ولكنها أيضًا موضوع وبقدر ما تملك من عناصر الجدّة والأصالة بقدر ما تؤدي وظيفة ذات فعالية أفضل خلال العملية الاتصالية.. فبين الإبداع والاتصال تقوم علاقات لا يمكن إغفالها.

وهنا يمكن أن نقف على قول ديكرو: "إن القيمة الحجاجية لقول ما ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير أو صيغ، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري، فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك[67]". فإن القيمة الجمالية للعمل الفني، لا فيما يقوله في حد ذاته، إذ من الممكن صياغته بطرائق غير فنية أيضًا، ولكن في طريقة القول، فهو إذن "يستمد دلالته من وجوده، لا من حقيقة قبلية أو من معنى سابق عليه.

---

(66) محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص22.

(67) حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، (الكويت: مجلة عالم الفكر، المجلد ثلاثون العدد الأول، 2001م)، ص105.

ووجوده يتلخص في تأثيره، وهو يستمد حياته ومعناه من هذا التأثير، ومن استجابة الناس له"[68].

فمن خلال قراءة تراث سعيد النورسي نلاحظ أنه امتلك سياسة القول، فقد كان العرب يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية السياسة[69]، وهم إذ يتحدثون عن هذه السياسة، يتجاوزون، في الحديث عنها، خصائص المكونات الصغرى التي تبقى في حدود الجملة إلى خصائص النص في جملته. وبذلك، فهم ينتقلون من المعنى إلى الدلالة، أو "التدلال" ويصرفون البحث إلى وجوه تتجاوز اللفظ والمعنى، والحقيقة والمجاز، وبلاغة الوجوه، إلى علاقة أجزاء النص بعضها ببعض، والحكمة في ترتيبها، وسبل الاحتجاج ومناهجه، والموافقات القائمة في النص بين طريقته في إيراد المعنى وتعليق بعضها على بعض.

(68) أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال، (القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت)، ص70.
(69) عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية، (بيروت: دار الجيل، 1991م)، 1/ 44.

الخاتمة

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، الذي علم بالقلم، فعلم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على سيد الخلق ورسول الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد، فقد أتممت البحث وانتهيت إلى أوضح نتائج الدراسة، وأهم التوصيات، ومنها ما يلي:

أولًا: أهم النتائج:

– الدراسات المهتمة بفهم الطرائق الحجاجية للتفكير قليلة جدًّا، وهي من الأهمية بمكان؛ لأنها تهتم بقراءة المنظومات العقلية لمعرفة بنية الفكر.

– الدراسات البينية بين علوم الدين وعلوم العربية وخاصة البلاغة تشكل أهمية عظيمة وهي أيضًا قليلة جدًّا.

– تراث الشيخ سعيد النورسي زاخر بشتى المعارف والفنون وهو جدير بالدراسة والنظر.

– كتاب الإشارات اشتمل على لغة برهانية قوية وأسلوب حجاجي كبير، حيث اعتمد على الاستقصاء والتركيب والاستنتاج والتحليل والترتيب.

– علماء المسلمين لم يكونوا بمعزل عن علوم عصرهم، بل تقدموا فيها، وقد كانوا متمكنين منها نحوًا وصرفًا وبلاغة، كما كانوا متمكنين من علوم المنطق والفلسفة، وعلوم الدين قبل ذلك.

– فليس الأمر أمر جمع الحجج فقط، وإنما يسبق ذلك المعرفة بكيفية صياغتها؛ لتحقق النجاح في الإقناع، وقد كان الأستاذ سعيد النورسي نموذجًا فريدًا في الإقناع والحوار، حيث كان حريصًا على بناء حجاجه بناء منطقيا بلاغيا، بداية من منطلقاته وحتى التعبير والأسلوب ومراعاة أحوال المتلقين.

– التفسير الإشاري عند النورسي تفسير لا يتعارض مع النصوص، بل هو يستجلي ما فيها من مظاهر تربوية تهذب النفس وترتقي بالوجدان.

ثانيًا أهم التوصيات:

- أوصي الأمة المسلمة بكتاب ربها وسنة نبيها؛ لأن فيهما الذكر والشرف والمصدر وأصل حافظ عن الضلال والانحراف.
- أوصي الباحثين بدراسة فكر علماء الأمة واستجلاء طريقة تفكيرهم، لندرك كيف يفك العلماء، فنؤسس لعقل إسلامي مفكر.
- أوصي أهل العلوم الشرعية بضرورة التعمق في علوم العربية وخاصة البلاغة لما لها من أهمية في الدراسات الشرعية.
- أوصي أهل الدعوة إلى الله تعالى بدراسة فنون الإقناع والحوار، والبحث في تراثنا عن أصول هذه الفنون.

المراجع

إبراهيم، أبو سنة إبراهيم، فلسفة المثل الشعبي (القاهرة: المكتبة الثقافية، مطابع الدار، فرع الصحافة، ع 193، 1968م).

الأطرش، رضوان جمال الأطرش، النظم والبلاغة في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، (مجلة دراسات رسائل النور، العدد 2 يناير 2019م).

أعراب، حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، (الكويت: مجلة عالم الفكر، المجلد ثلاثون العدد الأول 2001م).

أعمور، مليكة غبار، أحمد أمزيل، محمد رويض، علي أعمور، الحجاج في درس الفلسفة، (المغرب: إفريقيا الشرق،2006م).

الأنصاري، فريد الأنصاري، بديع الزمان النورسي من برزخ إلى معراج القرآن، (النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد التاسع السنة الخامسة، 2014م).

الباقلاني، أبو بكر محمد الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق، السيد أحمد، (مصر: دار المعارف، د.ت).

بودفلة، فتحي بودفلة، حقيقة النظم عند بديع الزمان النورسي من خلال كتابه إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز دراسة تحليلية نقدية (الجزائر: مجلة المجمع الجزائري للغة العربية المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، 2022م).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق: د. ابتسام مرهون الصغار، تقديم: عبد الحكيم راضي، (مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، 1992م).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، 1992م).

جنيت، جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، الطبعة الثانية، (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 1997م).

الريفي، هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، (تونس: كلية الآداب، جامعة منوبة، د.ت).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م).

زروقي، أسماء زروقي، المنحى التداولي في "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" لبديع الزمان سعيد النورسي، (الجزائر: مجلة قراءات، المجلد: الثالث عشر العدد الأول،2021م).

ستودارد، لوثروب ستودارد (Lothrop Stoddard)، حاضر العالم الإسلامي، تعليق شكيب أرسلان، ترجمة: عجاج نويهض، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

شرف، عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية (بيروت: دار الجيل، 1991م).

شناوة، صلاح جباري شناوة، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، (العراق: جامعة المثنى – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية، رسالة علمية غير منشورة 2016م).

الصالحي، إحسان قاسم، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء: مركز رسائل النور للنشر، 1999م).

صمود، حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، (تونس: دار قرطاج للنشر والتوزيع،1999م).

طروس، محمد طروس، النظرية الحجاجية، (المغرب: دار الثقافة، 2005م).

عادل، عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، (الرباط: دار الأمان، 2013م).
ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية).
عبد المهيمن، أحمد عبد المهيمن: نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي، (دار الوفاء،2000م).
ابن عيسى، بطاهر بن عيسى، البيان القرآني في منظور بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة فصل الخطاب، (جامعة ابن خلدون تيارت- مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر، المجلد الثالث، العدد الحادي عشر سبتمبر 2015م).
مشبال، محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، (المغرب: دار كنوز المعرفة، 2016م).
مطر، أميرة حلمي، مقدمة في علم الجمال، (القاهرة: دار النهضة العربية، د. ط).
منصور، جعفر محمد العبيد منصور، تطبيق نظرية النظم عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي من خلال كتابه إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، (مجلة دراسات رسائل النور، العدد الثاني يناير 2019م).
ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار أدر،1997م).
مورو، فرانسوا مورو، البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة: محمد الولي –عائشة جرير، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2003م).
ميلود، بوشريحة براهيم وعزوز ميلود، الحجاجُ ومصطلحاته في التفكير البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني، (ألمانيا: المركز الديمقراطي العربي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 04-جانفي 2019م).
النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة، 2002م).

الولي، محمد الولي، الاستعارة في محطات عربية ويونانيو وغربية، الطبعة الثانية، (المغرب: دار الأمان، 2005م).

References:

ʿAbd al-Muhaymīn, Aḥmad ʿAbd al-Muhaymīn. Naẓariyyat al-Maʿrifa bayna Ibn Rushd wa-Ibn ʿArabī. Dār al-Wafāʾ, 2000.

ʿĀdil, ʿAbd al-Laṭīf ʿĀdil. Balāghat al-Iqnāʿ fī al-Munāẓara. Rabat: Dār al-Amān, 2013.

al-Anṣārī, Farīd al-Anṣārī. "Badīʿ al-Zamān al-Nūrsī: Min Barzakh ilā Miʿrāj al-Qurʾān." al-Nūr li-al-Dirāsāt al-Ḥaḍāriyya wa-al-Fikriyya, no. 9, year 5 (2014).

al-Aṭrash, Riḍwān Jamāl al-Aṭrash. "al-Nuẓum wa-al-Balāgha fī Fikr al-Imām Badīʿ al-Zamān Saʿīd al-Nūrsī." Majallat Dirāsāt Rasāʾil al-Nūr, no. 2 (January 2019).

al-Bāqillānī, Abū Bakr Muḥammad al-Ṭayyib. Iʿjāz al-Qurʾān. Edited by al-Sayyid Aḥmad. Egypt: Dār al-Maʿārif, n.d.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān. Asrār al-Balāgha. Edited by Maḥmūd Muḥammad Shākir. Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī; Jeddah: Dār al-Madanī, 1992.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān. Dalāʾil al-Iʿjāz fī ʿIlm al-Maʿānī. Edited by Maḥmūd Muḥammad Shākir Abū Fahr. Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī; Jeddah: Dār al-Madanī, 1992.

al-Nūrsī, Badīʿ al-Zamān Saʿīd al-Nūrsī. Ishārāt al-Iʿjāz fī Maẓānn al-Ījāz. Edited by Iḥsān Qāsim al-Ṣāliḥī. 3rd ed. Cairo: Sharikat Sūzlar li-al-Nashr, 2002.

al-Rīfī, Hishām al-Rīfī. "al-Ḥijāj ʿinda Arisṭū." In Ahamm Naẓariyyāt al-Ḥijāj fī al-Taqālīd al-Gharbiyya min Arisṭū ilā al-Yawm, edited by Ḥammādī Ṣammūd. Tunisia: Kulliyyat al-Ādāb, Jāmiʿat Manūba, n.d.

al-Ṣāliḥī, Iḥsān Qāsim al-Ṣāliḥī. Badīʿ al-Zamān Saʿīd al-Nūrsī: Naẓra ʿĀmma ʿan Ḥayātihi wa-Āthārihi. 1st ed. Casablanca: Markaz Rasāʾil al-Nūr li-al-Nashr, 1999.

al-Thaʿālibī, Abū Manṣūr ʿAbd al-Malik ibn Muḥammad. al-Iqtibās min al-Qurʾān al-Karīm. Edited by Ibtisām Marḥūn al-Ṣaghghār. Introduction by ʿAbd al-Ḥakīm Rāḍī. Egypt: al-Hayʾa al-ʿĀmma li-Quṣūr al-Thaqāfa, 2003.

al-Wallī, Muḥammad al-Wallī. al-Istiʿāra fī Maḥaṭṭāt ʿArabiyya wa-Yūnāniyya wa-Gharbiyya. 2nd ed. Morocco: Dār al-Amān, 2005.

al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muḥammad ibn ʿAbd Allāh. al-Burhān fī ʿUlūm al-Qurʾān. 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1988.

Aʿmūr, Malīka Ghubār, Aḥmad Amzīl, Muḥammad Ruwayḍ, and ʿAlī Aʿmūr. al-Ḥijāj fī Dars al-Falsafa. Morocco: Ifrīqiyā al-Sharq, 2006.

Aʿrāb, Ḥabīb Aʿrāb. "al-Ḥijāj wa-al-Istidlāl al-Ḥijājī: ʿAnāṣir Istiqṣāʾ Naẓarī." Majallat ʿĀlam al-Fikr, vol. 30, no. 1 (Kuwait, 2001).

Būdafla, Fatḥī Būdafla. "Ḥaqīqat al-Naẓm ʿinda Badīʿ al-Zamān al-Nūrsī min Khilāl Kitābihi Ishārāt al-Iʿjāz fī Maẓānn al-Ījāz: Dirāsa Taḥlīliyya Naqdiyya." Majallat al-Majmaʿ al-Jazāʾirī li-al-Lugha al-ʿArabiyya, vol. 18, no. 2 (Algeria, 2022).

Genette, Gérard. Khiṭāb al-Ḥikāya: Baḥth fī al-Manhaj. Translated by Muḥammad Muʿtaṣim, ʿAbd al-Jalīl al-Azdī, and ʿUmar Ḥalī. 2nd ed. Egypt: al-Majlis al-Aʿlā li-al-Thaqāfa, 1997.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn ʿĀshūr. al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr. Tunisia: al-Dār al-Tūnisiyya, n.d.

Ibn ʿĪsā, Buṭāhir ibn ʿĪsā. "al-Bayān al-Qurʾānī fī Manẓūr Badīʿ al-Zamān Saʿīd al-Nūrsī." Majallat Faṣl al-Khiṭāb, vol.

3, no. 11 (September 2015). Ibn Khaldūn University of Tiaret — Laboratory of Argumentative Discourse.

Ibn Manẓūr, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn. Lisān al-ʿArab. Beirut: Dār Ṣādir, 1997.

Ibrāhīm, Abū Sunna Ibrāhīm. Falsafat al-Mathal al-Shaʿbī. Cairo: al-Maktaba al-Thaqāfiyya, Maṭābiʿ al-Dār, Farʿ al-Ṣiḥāfa, no. 193, 1968.

Manṣūr, Jaʿfar Muḥammad al-ʿUbayd Manṣūr. "Taṭbīq Naẓariyyat al-Naẓm ʿinda al-Imām Badīʿ al-Zamān Saʿīd al-Nūrsī min Khilāl Kitābihi Ishārāt al-Iʿjāz fī Maẓānn al-Ījāz." Majallat Dirāsāt Rasāʾil al-Nūr, no. 2 (January 2019).

Maṭar, Amīra Ḥilmī Maṭar. Muqaddima fī ʿIlm al-Jamāl. Cairo: Dār al-Nahḍa al-ʿArabiyya, n.d.

Mīlūd, Bū Sharīḥa Ibrāhīm and ʿAzzūz Mīlūd. "al-Ḥijāj wa-Muṣṭalaḥātuhu fī al-Tafkīr al-Balāghī ʿinda ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī." Majallat al-Dirāsāt al-Thaqāfiyya wa-al-Lughawiyya wa-al-Fanniyya, no. 4 (January 2019). Arab Democratic Center, Germany.

Mishbāl, Muḥammad Mishbāl. Fī Balāghat al-Ḥijāj: Naḥwa Muqāraba Balāghiyya Ḥijājiyya li-Taḥlīl al-Khiṭābāt. Morocco: Dār Kunūz al-Maʿrifa, 2016.

Moreau, François (Frānsuwā Mūrū). al-Balāgha: al-Madkhal li-Dirāsat al-Ṣuwar al-Bayāniyya. Translated by Muḥammad al-Wallī and ʿĀʾisha Jarīr. Morocco: Ifrīqiyā al-Sharq, 2003.

Ṣammūd, Ḥammādī Ṣammūd. Min Tajalliyyāt al-Khiṭāb al-Balāghī. Tunisia: Dār Qartāj li-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1999.

Shannāwa, Ṣalāḥ Jabbārī Shannāwa. "al-Salālim al-Ḥijājiyya fī Shiʿr Aḥmad al-Wāʾilī." Unpublished MA thesis, Department of Arabic Language, College of Education

for Human Sciences, University of al-Muthanná, Iraq, 2016.

Sharaf, ʿAbd al-ʿAzīz Sharaf. al-Lugha al-Iʿlāmiyya. Beirut: Dār al-Jayl, 1991.

Stoddard, Lothrop (Lūthrūb Stūdārd). Ḥāḍir al-ʿĀlam al-Islāmī. Commentary by Shakīb Arslān. Translated by ʿAjjāj Nuwayhiḍ. Beirut: Dār al-Fikr, n.d.

Ṭarrūs, Muḥammad Ṭarrūs. al-Naẓariyya al-Ḥijājiyya. Morocco: Dār al-Thaqāfa, 2005.

Zarūqī, Asmāʾ Zarūqī. "al-Manḥā al-Tadāwulī fī Ishārāt al-Iʿjāz fī Maẓānn al-Ījāz li-Badīʿ al-Zamān Saʿīd al-Nūrsī." Majallat Qirāʾāt, vol. 13, no. 1 (Algeria, 2021).